تقديم وجمع وتحقيق

د. الطاهر المعموري

فتاوى المازري

الدار التونسية للنشر

مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان

ISBN 9973-12-266-6

© جميع الحقوق محفوظة للدار التونسية للنشر فيفري 1994 .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لفضيلة الأستاذ الدكتور أبو لبابة حسين

مدير مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان

الإسلام دين الرحمة والهداية والحياة السّويّة، أتمّ الله به النعمة على الخلق جميعاً، بما ضمّنه من شرع حكيم وخلق رضيّ وتوجيه قويم.

والمسلم يسعى أن تكون جميع حركاته وسكناته ممّا يرضي الله ويحقّق إرادته في الكون، فما أن تحلّ به نازلة أو تلمّ به حادثة ـــ لم يتبيّن حكم الله فيها ـــ حتّى يهرع إلى أيمّة الهدى من علماء الأمّة يستفتيهم ليهتدي إلى العمل الرّشيد. ومَن يتولّى الإفتاء من هؤلاء العلماء يكون قد قام في الأمة مقام النّبيّ المبلّغ عن الله تعالى، لأنّه بفَتْواه يجلّي حكم الله المستمدّ من الأدلّة الشّرعيّة، ومن هنا اكتسبت الفتوى أهميتها وخطرها، لأنّها تترجم حكم الله، حتّى قيل: المفتي موقّع عن الله تعالى.

وحتّى تبقى الفتوى معبّرة عن منهج الله وإرادته، فإنّه حرّم الكذب عليه فقال عزّ وجلّ: (ولا تقولوا لِمَا تصف ألسنتكم الكذب هذا حَلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) ـــ النّحل: 116 ـــ. مثلما حرّم رسول الله صلّى عليه وسلّم الكذب عنه فقال: (من كذب عليّ فلْيتبوّأ مقعده من النّار). كما حرّم الله تعالى القول عنه بغير علم لأنّ ذلك من عمل الشيطان، فقال: (ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين إنما يأمركم بالسّوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ـــ البقرة: 168 ـــ 169 ـــ

وحفظاً لحرمة الفتوى من التحريف والتزوير وإبعاداً لها عن الجهلة والمرتزقة الذين يستبدلون (الذي هو أدنى بالذي هو خير)، منع من التصدّي لإفتاء الناس إلاّ من توفّرت فيه أدوات الاجتهاد وشروطه وجمع إلى العلم الواسع والفهم الثّاقب والبصيرة النّافذة الورع والتقوى والإخلاص لِدين الله تعالى.

وقد قام في كلّ عصر أيمّة أعلام بأعباء الفتوى يوجّهون بها الجماهير المسلمة وجهة ترضي الله ورسوله فتجمّعت عبر القرون جملة وافرة من الفتاوي التي تجيب عن أسئلة الناس وتحلّ إشكالاتهم وتعالج مشاغلهم.

وهذه الفتاوي التي يضعها مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، بالاشتراك مع الدار التونسية للنشر بتونس بين يدي القرّاء الكِرام، تعدّ من أشهر الفتاوي لِشُهرة صاحبها وهو الإمام المازري أبو عبد الله محمد المتوفّى سنة 536هـ والذي أجمع أهل الفضل من علماء الأمّة على إمامته حتى أصبح يُعرف بالإمام. وقد جمعها وحقّقها الدكتور الطاهر المعموري الذي سبق أن تقدّم إلى الكلّيّة الزيتونية للشريعة وأصول الدين بدراسة حول المازري فأجازتها ونال بها درجة دكتوراه الدولة.

وقد جمع المحقّق هذه الفتاوي من كتابين عنيا في المقام الأول بالفتوى:

أحدهما: «كتاب جامع مسائل الأحكام لما تنزّل من القضايا بالمفتين والحكام»، لأبي القاسم

ابن أحمد البرزلي، المتوفّى سنة 843هـ عن مائة وثلاث سنين، أحد نجباء تلاميذ ابن عرفة وقد لازمه نحوا من أربعين سنة، وهو (عمدة أهل التحقيق والرسوخ) و(إليه المفزع في الفتوى) وكان (ينعت بشيخ الإسلام).

ثانيهما: «كتاب المعيار المغرب والجامع المقرّب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب» لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة للهجرة والمتوفى سنة 914هـ، وقد جمع في كتابه هذا، وأوعى، حيث أتى على كثير من فتاوي المتقدمين والمتأخرين.

وفتاوي الإمام المازري تناولت جملة وافرة من الموضوعات المهمّة كالعبادات والمعاملات على تنوّع مسائلها، وبعض القضايا العقديّة الغيبيّة، وهي فتاوي تعكس الأوضاع العائلية والاجتماعية والاقتصادية والعلميّة وحتى السياسيّة وتصوّر مشاغل الناس وهمومهم في عصر المازري.

والإمام المازري كثيراً ما يعوّل في فتاويه على (المشهور من مذهب مالك) دون أن يغفل الإشارة أحياناً إلى ما أفتى به في المسألة ابن القاسم، أو المغيرة بن شعبة أو سحنون الثوري، أو سحنون أو أبو الحسن القابسي أو ابن أبي زيد القيرواني فضلاً عمّا رآه في المسألة شيخاه الشهيران عبد الحميد الصائغ وأبو الحسن اللّخمي. كما قد يحيل من يستفتيه إلى كتابه «شرح التلقين» لمزيد التوسّع فيقول مثلا: (وكشف الغطاء عن هذه المسألة وما يتعلّق بها من الأسرار، كشفناه في كتاب «شرح التلقين»، كما ذكرنا مذهبنا فيه ومذهب المخالف، وبالله التوفيق).

وقد يستعين في فتاويه عند الحاجة ـــ بخبرة أهل الاختصاص، كالأطبّاء الموثوق بعلمهم وأمانتهم فيقول: (وهذا قول الأطباء)، علماً بأنّه ـــ رحمه الله ـــ (أقبل على تعلّم الطبّ حتى فاق فيه) ويضيف الذهبي في «السّير» (وكان ممّن يفتي فيه كما يفتي في الفقه). ودفعاً لكل خطإ وتجنّباً لكلّ سوء فهم، فإنّ الإمام المازري قد يملي فتاويه إملاءً، فيقول: (جوابي أمليته على من كتبه بين يديّ، وبالله التوفيق).

والإمام المازري، إدراكاً منه لخطر الفتوى وحفظاً لها من المتطفّلين عليها، شهّر بأدعياء المعرفة المتهافتين على الفتوى طلباً للمقام الأرفع لدى العامّة، فقد افتتح إحدى فتاويه بقوله: (الحمد لله الذي لا محمود سواه ولا يستخار في جميع الأمور إلاّ إياه، ونستعيذه أن نكون ممّن غلب عليه هواه، فجعل الجهل منقلبه ومثواه، وإلى الله أرغب أن لا يجعلنا ممّن ظنّ أنّ العلم لفظ ومعناه الدّعوى، والاستحقاق عند العامّة بالفتوى، وهيهات ما العلم إلا ما شهد به أهله... وليس الفقه عند مَن قال: أنا وقنع بالمدحة والثناء، وقد أهمل في زماننا وضع المراتب في موضعها عند مستحقّيها، فأعوذ بالله أن أكون ممّن تبع هواه، وعدل عن الحقّ وطلب سواه).

وهذه الفتاوي، وإن كانت تصوّر نوازل وأحداثاً جدّت في النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأوّل من القرن السادس للهجرة إلاّ أن طريقة الإمام المازري في معالجتها وتأصيل مباحثها، يمكن أن يفيد منها من يتصدّى اليوم للفتوى ليعالج قضايا العصر من الوجهة الشرعية. كما أن دارسي الاجتماع والتاريخ يجدون في هذه الفتاوي معيناً لا ينضب من الوقائع والأحداث التي تصوّر حياة الناس في تلك العهود الخوالي والتي قد لا يعثرون عليها في غيرها من المصادر العلميّة.

نسأل الله تعالى أن ينفع بها، والله من وراء القصد.

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

لقد آن الأوان ليكتب التّاريخ الثّقافي والاجتماعي لافريقيّة، ولا يمكن كتابة هذا التّاريخ إلاّ بالرّجوع لمصادره بعد تحقيقها ونشرها وإزالة الغبار عنها. ومع الأسف الشّديد فإنّ الهمم لم تنصرف بعد لاستيعاب هذه الحقيقة ألا وهي نشر وتحقيق هذا التراث حتى نكتشف من خلاله شخصيتنا الحقيقيّة وهويتنا الأساسية في أعماق التّاريخ.

ودراسة شخصية المازري إنّما تنبع من هذا المنطلق إذ لا فصل بين مقوّمات تاريخنا الثّقافي ودراسة الشّخصيات الثقافية العملاقة التي وجّهت وبلورت وأبرزت هذه المقوّمات.

والمازري يعتبر رائدا في هذا المجال إذ يندر أن لا تتعرّض دراسة من الدّراسات الفقهية المالكية لأقوال ونظريات المازري التي طبع بها الفقه الإسلامي ووجّهه وجهة مشرقية فيها الوضوح والتّنظيم والعلم الموسوعي؛ لكن المؤسف أنّ هذه الطريقة الفقهية لم تثمر ولم تينع بسبب الاضطرابات والفتن التي اتّسم بها عصر المازري الزيري وافريقية التي اعتمدت في فقهها المالكي على الطريقة المصرية الخليلية وكان في امكانها اعتماد طريقة المازري المنطقية المنظّمة المبنية على إثارة الاسئلة والافتراضات المتعدّدة والإجابة عنها بتوسّع وعمق مع تطبيق طريقة الفقه المقارن وهو ما فقدناه في فقهنا المالكي في العصور الأخيرة.

وعسى أن تساهم هذه الخطوات المتواضعة في بلورة ومعرفة ودراسة شخصية من أعظم الشّخصيات التي انتجتها افريقية الإسلامية في مجالات الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام.

وإني لأشكر في هذا المجال مركز الدّراسات الإسلامية بالقيروان على تفضّله برعاية هذا المجهود بالاشتراك مع الدّار التّونسية للنشر بتونس.

والله الموفّق لما فيه خير هذه البلاد

سكّرة، في 1 ديسمبر 1992

د. الطاهر المعموري

التعريف بالمازري
ترجمتـــه

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد[1] التميمي[2] المازري، نسبة لمازرة[3]، وهي مدينة على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية، تقابل

---

(1) ورد اسم هذا الجد الثاني في ابن خلكان 285/4 عدد 617 ، الصفدي 151/4 ، المقري : ازهار الرياض 165/3 ، البغدادي : هدية العارفين 88/2 ، ابن عاشور : التوضيح 18 ، واقتصرت بقية المصادر على الكنية والاسم واسم الأب والجد الأول والنسبة . آنظر ابن الخطيب 492-493 ، عياض : الغنية 132-133 ، ابن فهد 72-73 ، اليافعي 267/3 الذي حذف الجد الأوّل عمر ، ابن قنفذ 42 ، ابن العماد 114/4، الزبيدي 541/3 ، ابن فرحون 279-281 ، الحطاب 36/1 ، الخرشي 41/1 ، الحجوي 56/4 عدد 608 ، المدني 226-227 ، مخلوف 127-128 عدد 371 ، الزركلي 164/7 ، كحالة 32/11 ، الفاسي : الفهرس 1 : 159 .

(2) يفترض ادريس ان هذه النسبة التميمي تفيد ان جده كان من التميميين الذين أرسلهم الأمير الأغلبي في الجيش الذي غزا صقلية Idris: l'école 154 آنظر عن تميم ، كحالة : معجم قبائل العرب 126/1-132 .

(3) أو مازرة ترجمة لكلمة Mazzara . عبد الوهاب المازري 49.

شمال البلاد التونسية[4]، ومازر بفتح الزاي حسب ياقوت[5] ، وقد تكسر كما أثبته الصفدي[6] ، وتكون بالوجهين[7] . والمازري لا يعبر عن حنين خاص لصقلية، ولكنه يحسن الظن بالمسلمين المقيمين فيها تحت راية الكفار، ويباعد المعاصي عنهم، في الفتوى التي وجهت إليه عن أحكام تأتي من صقلية من قبل قاضيها، وشهود عدول، هل يقبل ذلك منهم أم لا ؟[8] لكنه في قضية السفر إليها يمنعه إذا كانت أحكام الكفر جارية على من يدخلها من المسلمين، ولو لأجل استجلاب الأقوات[9]، ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[10].

وحسب الشّيخ الشاذلي النيفر لا يمكن أن يكون من مواليد المهدية، لما ذكر عن ابن فرحون وعياض، ثم إنه ليس هناك ما يدلّ على أنه من مواليد

---

(4) حسب عبد الوهاب هي أول بلدة امتلكها الجيش الأغلبي الفاتح على يد القائد أسد ابن الفرات (ربيع 1 سنة 212 هـ) ، وكذلك كانت آخر معقل للاسلام بالجزيرة ، وقد افتكها رجار ملك النرمان من يد عبد اللّه بن الحواس آخر ملوك الطوائف بصقلية ، (خلال سنة 464 هـ)، وبذلك انقطعت السيادة الاسلامية في تلك الجزيرة ، فهاجر من سكانها المسلمين من هاجر ، وبقي منهم من بقي ، تحت ذمة الافرنج إلى أوائل القرن السابع للهجرة . عبد الوهاب المازري : 49 ، ولواء الاسلام 23 ، ولمعرفة تفاصيل أكثر من الناحية الجغرافية لجزيرة صقلية ، آنظر كذلك مورينو 1،3 . وينقل اليافعي أن المازر بتقديم الزاي وتأخير الراء بلدة بين اصبهان وخوزستان . اليافعي 267/3 .

(5) الحموي : 391 ، آنظر ابن عاشور : التوضيح 18 .

(6) الصفدى : 151/4 .

(7) ابن فهد : 73 ، ابن العماد 114/4 ، اليافعي 267/3 ، ابن فرحون 281، الحطاب 36/1، الخرشي 41/1، الحجوي 4 : 56 .

(8) آنظر الفتوى في الونشريسي 103/2 ، 104 ، مورينو 43 ، على أن عبد الوهاب ينقل بدون ذكر المصدرأن ، المازري كان يكرم من يفد على افريقية من مهاجري صقلية فيوسع على فقيرهم ، ويساعد بالنصيحة الميسور منهم ، عبد الوهاب المازري : 91 .

(9) البرزلي : مخط : كـ ش 140/1 ــ ب .

(10) التوبة، 28 .

إفريقية، بل الذي يدل عليه كلام ابن فرحون وعياض انه من مواليد مازر حيث قال : أصله من مازر ، ولو كان أبوه هو المهاجر لقال أصل أبيه من مازر. وكذلك لم يقل عياض واستوطن أبوه المهدية، وهو أعرف النّاس به للمعاصرة[11].

وقضية ميلاد المازري ومكانها قضية لم تساعد المصادر المختلفة على حلّها، لغموض النشأة الأولى. فعياض المعاصر للمازري لم تمكنه تلمذته بالاجازة من معرفة ميلاده، ومكان هذا الميلاد، وشعورا منه بالغموض اقتصر على القول : الإمام أبو عبد الله... مستوطن المهدية[12]. وإشارة كهذه لا تساعدنا على الجزم أنه من مواليد مازر. وابن فرحون الذي صرّح بعبارة «نزل المهدية من بلاد إفريقية»[13] لا نشك في صحة معلوماته بالنسبة لعلماء المذهب المالكي. لكن ما أصدره في شأن أصل المازري لا تساعد عليه النصوص. فما وصلنا من كتبه ، وما استطعنا الاطلاع عليه لا ينص ولا يوحي بسفر ، ولا انتقال ، ولا ركوب للبحر ، حتى الحجّ عدل عنه المازري لخطورة الطريق[14].

ولعلّ الأقرب إلى التفسير ما أورده عبد الوهاب[15] أنه ولد بالجهة الساحلية، ويؤيّد هذا مزاولته التعليم بإفريقية، وأخذه عن شيوخها، ولو أخذ عن شيوخ بلاد نسبته، لذكرهم، واستشهد بهم مع حرصه على ذكر أشياخه في كثير من المسائل الفقهية. ولقد ظلّ هذا الغموض سائدا حول مكان ولادته ونشأته الأولى، حتى عثرت على نص ذكره المازري عرضا في إحدى فتاويه[16]، يتحدّث فيه عن حادثة وقعت له، وهو صبي راهق الحلم حسب تعبيره «ولقد أذكر أني كنت صبيّا حين راهقت الحلم بين يدي إمامي

---

(11) النيفر ، 23، آنظر كذلك الخرشي 41/1 .

(12) عياض : الغنية 132 .

(14) راجع في هذا الشأن فتواه في الونشريسي 343/1 .

(13) وتابعه على ذلك الحطاب 36/1 ، الحجوي 4 : 56، الفاسي : فهرس 160/1 مورينو 43.

(15) عبد الوهاب : المازري 49،50 ، لواء الاسلام 23 .

(16) الونشريسي 251/3 .

في الأصول ــ رحمه الله ؛ وكان أوّل يوم من رمضان، وبات النّاس بغير عقد نيّة في الصيام، فقلت : إن هذا اليوم ما نقضيه على مذهب بعض أصحاب مالك في رواية شاذة، فأخذ بأذني أستاذي وقال لي : إن قرأت العلم على هذا فلا تقرأه، فإنك إن اتبعت في بنيات الطريق جاء منك زنديق»[17] والذي نستخلصه من النص أن رمضان هذا الذي يتحدث عنه المازري بهذه الصفة غير موجود في بلاد مازر المدَّعَى ولادته فيها. وأن أستاذه في الأصول الذي عبّر عنه بكلمة إمامي، والذي لم يذكر اسمه، كان موجودا حين الحادثة في بلد إسلامي في إفريقية. وكلمة صبي التي أطلقها المازري، وأردفها براهقت الحلم، تفيد أن عمره يتراوح بين العاشرة والثانية عشرة، زد على هذا حركة الأستاذ المتمثلة في إمساكه لأذن المازر توبيخا عمّا صدر منه من الاعتماد على قولة شاذة في مذهب الإمام مالك، تفيد صغر سنّه، وجرأته في المسائل الفقهية. ولعلّ هذا الجو العلمي الذي عاش فيه المازري من صباه واحتكاكه بأساتذته، ومعرفته لإمامهم في الأصول مع صعوبة المادة، يبعد عنّا افتراض أن المازري ولد بمازر، وجاء إلى افريقية صغير السن من صقلية أثناء الفتنة التي أدت إلى سقوطها في يد النرمان سنة 464هـ/1071م[18]. ولعلّ والده علي بن عمر هو المهاجر من صقلية عند اختلال الأحوال، وقبيل استيلاء النرمان عليها. ولهذا السبب نفسه فارق كثير من المسلمين صقلية جزيرتهم، والتجأوا إلى إفريقية لقربها من موطنهم[19].

ولو ولد المازري بصقلية، أو أخذ عن شيوخها لذكرت المصادر ذلك، كما ذكرت نفس الشيء بالنسبة لأبي عبد الله محمد بن مسلم القرشي المازري، الذي قيل عنه أنه درس النّحو والأدب بصقلية[20] على أبي القاسم ابن القطاع، كما ذكر نزوحه لإفريقية. وعزوف المازري عن ذكر مراحل حياته، ورغبته بعكس ذلك في ذكر اطلاعه على كتب العلم الم

---

(17) الونشريسي 251/3 .

(18) النيفر 22 .

(19) آنظر عبد الوهاب : المازري 50 .

(20) عياض : الغنية 157،156 .

وخاصة التي ألفت من طرف أشياخ أشياخه تجعله يشير لصباه الذي لا يمكن أن يتجاوز الاثنتي عشرة سنة فقد قال : « وقد كنت في سن الصبا سمعت اختلافا فيما بين أشياخ أشياخي ووقفت على تأليف لبعضهم ينصر فيه أحد المذهبين»[21].

ونسبة المازري لم تقتصر على الإمام فقد بل أوردت كتب التراجم آخرين نسبوا لنفس البلدة من صقلية، منهم : أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري ويعرف بالذكي [22] ، من شيوخه أبو القاسم السيوري لم يستطع الاستقرار بالقيروان [23] فارتحل إلى اصبهان ، أين توفي سنة 516هـ/1122م . وهناك مازري آخر وهو أبو بكر عبد الله محمد بن مسلم بن محمد ابن أبي بكر القرشي المخزومي الصقلي الاسكندري ، قال عنه عياض في الغنية : « أخذ عن شيوخ صقلية وسمع الحديث عن أبي العباس الرازي ، وأبي بكر الطرطوشي ، وأخذ أيضا عن أبي علي الحسن بن محمد الحضرمي مصنفات أبي المعالي الجويني ودرس النّحو ، والأدب بصقلية على أبي القاسم ابن القطاع » [24] .

نزح لإفريقية فأخذ بالقيروان الأصول عن مشائخها ، وأخيرا استقر بالإسكندرية [25] أين توفي سنة 530هـ/1136م [26] . أمّا ميلاده فما استطعنا استخلاصه إلا من طرح سنوات عمره الذي هو ثلاث وثمانون سنة

---

(21) المازري : شرح التلقين . مخط 12208 ، 161 ــ أ .

(22) أنظر ترجمته في الدباغ 250/3 ــ 252، مخلوف 125 عدد 363، عبد الوهاب 93-94 ، الفاسي : الفهرس 170، كحالة 141/11، 154
Idris: l'école Malikite .

(23) قيل كان يسيء الأدب مع شيخه السيوري ، ويتبع سقطاته فدعا عليه الشيخ بأن لا ينفعه علمه . الدباغ 187/3 .

(24) عياض الغنية 156، 157، أنظر عن ذلك التنبكتي 227 .

(25) من تأليفه البيان في شرح البرهان للجويني ، والمهاد في شرح الارشاد إلى تبيين قواعد الاعتقاد للجويني كذلك . منه نسخة بمكتبة عبد الوهاب تحت رقم 18586 .

(26) أنظر عنه الزبيدي 541/3، عبد الوهاب 94؛ 95، 94
Idris:Fagnan : Nouveaux A propos 1 .

من تاريخ وفاته ، وهو سنة 536هـ/1141م . فتكون النتيجة أن ميلاد المازري سنة 453هـ/1061م [27] تقريبا ومقدار عمر المازري ذكرته بعض المصادر [28] .

كما أن سنة وفاته فيه شبه اتفاق من جل المصادر [29] وأمّا ما قاله عبد الوهاب من أنه ولد سنة 443هـ [30] فهو مخالف لاتفاق المصادر على الوفاة ، وشبه اتفاقها على عمره .

والمازري لا يتحدث أبدا عن مراحل حياته ، فهو ليس من صنف العلماء الذين يستغلون المناسبات المختلفة للحديث عن حياتهم الخاصة ، وتسليط الأضواء على بعض الأحداث التي من خلالها يستنتج الباحثون كثيرا من المعلومات ، التي تعكس مراحل مهمّة من حياة الشخص ، إنه لم يتحدث البتة عن حياته العائلية ، وأقصى ما استطعنا معرفته ، هو أن له حفيد وهو « عبد الله بن عبد الحق الأنصاري من أهل المهدية ويكنّى أبو محمّد ، أخذ عن مشيخة بلده ، وانتقل إلى المغرب ، وولي قضاء الجماعة بإشبيلية ، توفي بقصر عبد الكريم ، منصرفه من حضرة السلطان بمراكش سنة 589هـ/1193م ، حكى لي ذلك ابن سالم ، وقال بلغني أن لأبي عبد الله المازري عليه ولادة » [31] واختلاف الاسم يدل على أنه حفيده من جهة البنت [32] ، ولو كان من جهة الابن لكان لقبه المازري . وحتى قضية

---

(27) Idris: l'école 154 ، النيفر 21 .

(28) آنظر ابن خلكان 285/4 ، ابن العماد 114/4 ، اليافعي 267/3، ابن فهد 73، المقري : ازهار 166/3 .

(29) آنظر عياض : الغنية 133، ابن خلكان 285/4 ، الزبيدي 541/3، اليافعي 267/3، الصفدي 151/4، الحطاب 36/1 ، ابن فهد 73، المقري : ازهار 166/3، ابن العماد 114/4، ابن فرحون 281 .

(30) عبد الوهاب : المازري 50؛ لواء الاسلام 23 .

(31) ابن الابار : التكملة 529/2 عدد 1488 ط . مجريط،مخلوف 145 عدد 430 ، ونقل عنه التنبكتي آنظره 136، 137، 184 .

(32) Idris : l'école 161 .

الحفيد هذه لم تأت عن طريقه وإنّما أفادنا به ابن الأبار في التكملة . ولكن رغم هذا الغموض استطعنا استخلاص بعض الملاحظات تخص مراحل حياته، وبالمقارنة بين ميلاده ، وتاريخ وفاة شيوخه ، فهو عندما توفي اللخمي سنة 478هـ/1085م [33] ، كان له من العمر خمس وعشرون سنة ، وحين داهم الرّوم المهدية وزويلة ، ونهبوا الأموال سنة ثمانين وأربعمائة [34] كان له سبع وعشرون سنة . وقد كثرت الخصومات في البلد مع المرتهنين والصناع ، فأفتى أهل العلم بتكليف المرتهن والصناع البينة ، وأفتى المازري بتصديقهم ، وكان القاضي يعتمد على فتواه ، وتوقف العلماء حتى جاء عدلان لدى القاضي وشهدا أن شيخ الجماعة أبا القاسم السيوري أفتى بما أفتى به المازري [35] . والحادثة تدل على مكانة المازري رغم صغر سنّه واحترام قضاة وقته لآرائه ، واتباعهم لفتاويه . وعندما توفي ابن الصائغ سنة 486هـ/1093م [36] كان للمازري ثلاث وثلاثون سنة .

وشيخه ابن الصائغ هو الذي كتب إليه ، وقد خطرت له فكرة الحجّ عن طريق البحـــر ، لتعذّر الطريق في البر ، بسبب الاضطرابات والحروب فنصحه بالصبر ، حتى يظهر الطريق [37] . ورغم أن فكرة السفر للمشرق قد راودت المازري من شبابه لكنه لم يتمكن من تنفيذها على طول عمره، وشهرته الواسعة التي بلغت الآفاق على أن النشاط العلمي الذي كان للمازري، وإشعاعه وعنايته بما يحدث في المشرق ، واهتمامه بكتب المشارقة ، واقباله عليها ، تدل على رغبته في السفر ، وحاجته للتنقل ، حتى يحصل التلاقح الذي فقدناه دائما بين أقطاب العلم بالمشرق ، وزملائهم بالمغرب . وحتى المدن التي ذكرها المازري ، جاءت عرضا عن طريق أسئلة

---

(33) الدباغ 246/3 ، ابن فرحون 203 ، الحلل 337/2 ، مخلوف 117 عدد 326 ، عبد الوهاب: المازري 50 .

(34) آنظر : المازري : شرح التلقين ، مخط . 12207 ، 256 ب .

(35) الونشريسي 205/8 .

(36) ابن فرحون 279 .

(37) البرزلي مخط كـ . ش . 121/1 أ ، الونشريسي 1: 343 .

وجهت له ، ولم يثبت أنه زار واحدة منها . فقد ذكرت مدينة قفصة في قضية اليهودي الذي جاء بحرير مخبل واتّهم به ، وشهد أهل قفصة بثقة اليهودي ، وبعده عن مثل هذه المغامرات [38] ثم يذكر المازري قفصة بمناسبة جوابه عمن أعمر زوج ابنته التي في حجره في مالها دوام الزوجية ثم طلّقها وهي عادة أهل قفصة [39] . أمّا المنستير فقد ذكرت مرة واحدة لما سئل عن مخازن القصر الكبير ، وكيفية التصرف في محلاتها [40] وأكثر الأماكن ذكرا عند المازري جزيرة صقلية التي كانت بينها وبين إفريقية علائق تجارية مكثفة ، ثم العلائق الروحية التي كانت توجد بين سكانها مخلفات المسلمين فيها ، وبين أهل إفريقية ، فقد ذكرت مرات منها : السؤال عن مكتري لقارب من صقلية [41] ، واستجلاب الأقوات منها [42] . وعدا هذه الملاحظات ، فليس هناك في النصوص ما يشير لشيء ذي أهمية في حياة المازري سوى بعض تواريخ الفتاوى كسنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، أي عندما كان المازري له من العمر اثنتان وسبعون سنة[43] .

وكذلك المهدية ضرورة أنها المنبت والأصل ، ذكرت مع زويلة لأنها ضاحية من ضواحيها في الفتوى التي وجهت للمازري سنة 480هـ/1087م [44] . وجاء ذكر تونس [45] في فتاوى المازري التي يدعو لها بقوله : حماها الله ، ولعلها كانت مهددة في عهده بخطر ما ، لعلّه مضايقات الأعراب . والفتوى هي السؤال الذي ورد عليه من تونس هل يسوغ الأخذ بقول سعد بن المسيب في المبتوتة . وذكرت كذلك في فتاوى

---

(38) البرزلي : 12796 : 162/3 أ ــ ب .
(39) البرزلي : مخط ك. ش. 247/2 أ .
(40) البرزلي : مخط ك.ش. 140/1 ب .
(41) البرزلي 12796 91/3 ــ أ، الونشريسي 190/8، 191 .
(42) البرزلي : مخط ك . ش. 140/1 ب .
(43) البرزلي : مخط. 12795 ، 55 أ ، 4851: 44/4 ــ ب الونشريسي 155/7 .
(44) آنظر المازري : شرح التلقين ، مخط 12207 ، 256 ب .
(45) الونشريسي 249/3 .

المازري أماكن أخرى عرضا كمدينة قابس[46]، وتوزر[47] وطرابلس[48]، والاسكندريـــة[49] ، وبجاية [50] ، وجبل نفوسة [51] ، وسوسة التي ذكرت عند الكلام على سوق الغزل [52] ، ومراسلاته مع ابن الصائغ ، وأخيرا الأندلس [53] .

ولعل هذا الذكر الجاف لهذه الأماكن ، دون التعرض لما يفيد المعرفة أو الزيارة يفيد أن المازري لا يتحدث عن أسفاره وتنقلاته بإفريقية .

لهذا لا نجد في النصوص المختلفة التي ألّفها المازري معلومات جغرافية ولا تاريخية تستعرض بالمناسبة عند الكلام على مكان ما [54] وهذا الاقلاع عن السفر من المازري ، وحتى أساتذته لم تكن نتيجة الخوف فقط ، أو قلّة أمن الطريق لاختلال الأوضاع نتيجة لهجوم الأعراب ، وإنّما هو راجع لعدم الرغبة والعزوف عن التنقل ، وربما الثقة بالنفس والاكتفاء من المعلومات بما هو موجود .

على أن الشهرة التي بلغها المازري في علمه وتقواه قد أحاطت بهالة من التعظيم والتقدير والتقديس ، تحوّلت إلى حكايات شعبية ، فيها الكرامات وخوارق العادات ، منتشرة في كامل الساحل التونسي ، وغنّى المنشدون ألحانا دينية فيها الاشارة بفضائل المازري والتنويه بشأنه ، وسمّى الناس

---

(46) نفس المصدر السابق 190/8 .
(47) البرزلي : مخط 12796 ، 15 أ .
(48) المصدر السابق : مخط كـ ش 140/1 .ب .
(49) المصدر السابق مخط كـ ش 91/2 أ .
(50) الونشريسي 275/4 .
(51) المصدر السابق 151/9 .
(52) البرزلي : مخط 12796 ، 220 أ .
(53) الونشريسي 240/3 .
(54) يذكر الماذري النيل بمناسبة كلامه على طهارة الأنهار العظيمة ، وكذلك دجلة والفرات وحدّ جزيرة العرب ، وهي معلومات كانت شائعة في عصره . المازري : شرح التلقين . مخط . 6547 . 19 ب ، 21 أ ؛ الابي : 355/5 .

أبناءهم باسمه . وينقل عبد الوهاب أن هناك عائلة بمدينة سوسة تدعي انحدار أصلها من المازري [55] .

أما وفاته فقد اتّفقت المصادر على السنة وهي 536هـ/1141م ، وكذلك الشهر وهو ربيع الأول . غير أن عياض [56] يحدّد اليوم بيوم السبت الثالث من نفس الشهر ، وابن خلكان [57] يحدده بالثامن عشر منه [58] وينقل عنه ذلك اليافعي والمقري . ويحدّد عبد الوهاب الوفاة بيوم السبت الثامن من ربيع الأول . (12 أكتوبر 1141م) في مدّة آخر الأمراء الصنهاجيين الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز ، ويضيف بأن جثمانه نقل من الغد في زورق من المهدية إلى المنستير [59] حيث مدفن الصالحين والعلماء [60] ولا أعلم المصادر التي استمد منها عبد الوهاب هذه المعلومات ولعله استخلصها ممّا كان شائعا في ذلك الوقت من الرغبة في دفن العلماء في رباط المنستير [61] . وفي القرن الثاني عشر خيف على قبره من البحر [62] فأمر الأمير الحسيني علي باي الثاني بن حسين بن علي [63] بنقل رفاته إلى مقامه المشهور به الآن بالمنستير . وكان ذلك ليلة الأحد الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة 1176هـ/1723م [64] .

---

(55) Abdelwaheb: contribution, 493 : échos: centenario 2: : 493

(56) عياض : الغنية ، 133 .

(57) ابن خلكان 285/4، اليافعي 267/3، المقري : أزهار الرياض 166/3 ؛ ابن عذارى 312/1 .

(58) الموافق لـ 21 أكتوبر 1141. Idris: l'école 163

(59) ينقل ابن خلكان انه دفن بالمنستير . أنظره 285/4 .

(60) عبد الوهاب المازري : 95—97، انظر ابن عاشور : التوضيح 18 .

(61) ربما كانت الرغبة في الدفن في مدينة المنستير والابتعاد عن المهدية خوف الناس من دفن صلحائهم وعلمائهم في مدينة اسسها الفاطميون الذين اشتهر عنهم اضطهادهم لأهل السنة من سكان افريقية . النقل عن بعض الروايات الشفاهية . أنظر كذلك : النيفر : حسن البيان 195/1 .

(62) مخلوف 128، عبد الوهاب 95–97 .

(63) هو أبو الحسن علي باي ابن حسين بن علي تركي توفي سنة 1782/1196 آنظر عنه : خوجة 162–163، ابن ابي الضياف 178/2 .

(64) مخلوف 128، عبد الوهاب 95–97 .

الإطار السياسي لحياة المازري

لقد عاش المازري بين سنة 453هـ/1061م وسنة 536هـ/1441م ، وهي فترة تميّزت بأحداث هامة سبغت الحياة السياسية بإفريقية بلون خاص. ومن أهم هذه الأحداث [1] هجمة الأعراب على إفريقية [2] التي كان لها أكبر الأثر في تكييف الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والنفسية لسكّان إفريقية، ومضاعفات ذلك على الانتاج العلمي ، وهجرة العلماء ، وضياع جانب من التراث الحضاري لافريقيا الاسلامية . لأنّ هدف الهجمة هو القضاء على الدولة الصنهاجية ، وهذا القضاء لا يكون إلّا باحتلال عاصمتهم مدينة القيروان ، التي تحوي جهود أربعة قرون من العلم والبحث والتأليف في مختلف فروع الحـضارة الإسلامية .

---

(1) ومن هذه الأحداث كذلك تقسيم الدولة الزيرية إلى دولتين : دولة منصور بن بلكين صاحب القيروان وحماد بن بلكين صاحب القلعة . آنظر ابن الخطيب : أعمال 2 : 456 ، عدد 30 ص 36-66 . النيفر : مرآة الساحل . جويلية 1973 .

(2) انتقص المعز بن باديس دعوة العبيديين بافريقية ، وخطب للخليفة العباسي ، وقطع الخطبة للمستنصر العلوي سنة 1048/440 . فكتب إليه المستنصر يهدده . ثم ان الخليفة الفاطمي استوزر الحسين بن علي التازوردي ، بعد الجرجرائي ، ولم يكن في مستواه ، فخاطبه المعز بن باديس بعبارات تحط من شأنه ، فأغرى به المستنصر واصلح بين قبيلتي زغبة ورياح من بطون بني هلال ، وأباح لهم في اجتياز النيل ،والتوجه لافريقية ، وتملك كل ما وقع في ايديهم سنة 1050/442 آنظر ابن الأثير 55/8؛ والتجاني 17،18 ، ابن خلدون 130/4-131، ابن رشيق 253، ابن الخطيب : أعمال 456/2 .

ولقد انتقل المعز بن باديس الصنهاجي إلى المهدية تاركا القيروان لنهب وتحطيم الأعراب سنة 449هـ/1057م [3] ، حيث استقبله ابنه تميم ، لكن منيّته عاجلته سنة 454هـ/1062م فخلفه تميم [4] الذي حاول مدّة نصف قرن إرساء قواعد الدولة الصنهاجية من جديد . وحسب الافتراض المتقدم [5] فإن المازري ولد تقريبا في السنة التي تولّى فيها تميم عرش الخلافة الصنهاجية ، أو قبل ذلك بسنة يعني ولد المازري في مدينة المهدية في عصر كثرت اضطراباته ، وتشابكت سبله ، وقامت دول على أنقاض أخرى ، وعمّ الخوف من الأعراب في الداخل ، والنرمان من الخارج . ولعل هذا الجو كان له أثر على الحذر الذي نلاحظه عند المازري ، حتى أنه أهمل كثيرا من الأحداث السياسية الهامة التي عاشها ، و لم يشر إليها ولو بكلمة، وحتى لو سئل عن مشاكل تولدت عنها يجيب في حدود القضية دون إثارة أصل المشكلة [6] .

وتميم بن المعز كانت له خصال طيّبة ، عطوف حنون كريم ، يقابل السيّئة بالحسنة ، ويعفو عند المقدرة . من ذلك أنه سمع بتاجر غني يترحم على أبيه المعز ، ولا يذكر تميم بكلمة ، فاستدعاه إلى قصره ، وسأله : هل ظلمتك ؟ فقال : لا . قال : فهل ظلمك بعض أصحابي ؟ قال : لا، قال : لما أطلقت لسانك بالترحّم على أبي دون ذكري . لو قتلتك لاتهمني النّاس بمالك ، ثم أمر به فصفع في حضرته قليلا ثم أطلقه فلما خرج من

---

(3) أنظر ابن خلدون 132/4 ؛ التجاني 330،329 .

(4) ولد تميم بن المعز في المنصورية التي تسمى صبرة في 13 رجب 422 الموافق لـ 6 جويلية سنة 1031 ، وكان له من العمر سنتان لما قدمه المعز للشعب . أما ولايته العهد فلم تقع إلّا سنة 442هـ/50-1051 م في سن الثالثة والعشرين. وفي سنة 445هـ/1053م سماه أبوه واليا على المهدية، وكانت وفاته في رجب سنة 501هـ/1108م ابن خلكان 1: 304-306 عدد 126 ، التجاني 330 ، Idris 1/249 . أنظر فصل التعريف به .

(5)

(6) أنظر فتواه : هل يصدق اصحاب الديون الذين ضاعت وثائقهم اثر غزو النصارى للمهدية ، الونشريسي : 205/8 .

عنده سأله أصحابه عن خبره فقال : أسرار الملوك لا تذاع فصارت بإفريقية مثلا [7] . وتميم اشتهر كذلك بأشعاره الحسنة الجيّدة ، التي رواها النّاس وتناقلوها وحدث بها مؤرّخو الأدب من ذلك قوله :

سل المطر العام الذي عم أرضكم أجاء بمقدار الذي فاض من دمعي
إذا كنت مطبوعا على الصد والجفا فمن أين لي صبر فاجعله طبعي

وقوله كذلك :

إن نظرت مقلتي لمقلتها تعلم ممّا أريد نجواه
كأنها في الفؤاد ناظرة يشف أسراره وفحواه [8]

لكن رغم هذه النفحات الشعرية الطيّبة ، وهذه المواقف العجيبة إزاء شعبه، فإن تصرفاته هي تصرفات الملوك في عصر كان الناس لا يأمنون على حياتهم ، حتى من أبسط الأشياء التي تبدو لا أهمية لها . فتميم قضى على بقية جيش عبيد المعز الذين هربوا من انتقامه في سنة 448هـ/56ـ1057م [9] . واستطاع كذلك أن يأمن شرّ الأعراب فتحالف معهم واستعان بهم في ردّ ثورة إبراهيم بن محمد في قابس [10] .

ولقد اشتهر عنه ميلانه للمسيحيين ، حتّى أنّه استقبل في بلاطه ميشال وابنه جرجير الأنطاكي [11] الذين قدما من المشرق لخدمة تميم نظرا لمعرفتهما بالحساب ، ومسك حسابات الدولة . ولقد فوّض لهما تميم كل المصالح المالية، حتّى صارت أموال الدولة كلّها في أيديهما ، وأيدي أقاربهما حسب تعبير التيجاني . وهذا النفوذ النصراني هو الذي حذره المازري ، فعدل عن الرد على النصراني الآخر منتقد القرآن الكريم [12] .

---

(7) ابن الأثير 8/249-250 .
(8) ابن خلكان 1/305 عدد 126 .
(9) Idris 1/254 .
(10) التجاني 330-331 .
(11) يسميهما ادريس Michel et son fils Roger d'Antioche Idris 2: 254
(12) الكتاب هو الواضح. انظر عنه فصل كتب المازري الكلامية في الأطروحة.